مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

رت م د: 1112-685x
رت م د إ: 2588-2236

المجلد: 15 / العدد: 01 / جـــوان 2022
ص ص: 122 ـ 135

المضمر الإيديولوجي في ديوان "أم أوفى تتجدد رغم الليل الطويل لابن الشاطئ: مقاربة من منظور النقد الثقافي

Embedded ideological in the Diwan "or more ... renewed despite the long night" of IbnShati: An approach from the perspective of cultural criticism

فاطمـــة قيـــدوش *

المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف

ميلـــة / الجزائـــر

Fatima.guidouche@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2021/05/09 تاريخ القبول: 2022/03/29 تاريخ النشر: 2022/06/10

الملخص:

يعتبر شعر المقاومة الفلسطينية سجلاً لتاريخ شعب يعاني من الظلم والإبادة الجماعية من جهة، ووسيلة كفاح ضد العدوّ من جهة أخرى، كما يعري ويكشف التواطؤ والتخاذل العربي في نصرة القضية الفلسطينية، ويُعد ابن الشاطئ "إبراهيم إسماعيل شتات " شاعرا من رعيلٍ فحلٍ قال قولته بجرأة لم يخش فيها لومة لائم فكان من شعراء المقاومة الفلسطينية الذين كتبوا بحروف من نار، وانطلقت منهم الكلمة رصاصة، والقصيدة مقاومة أدت إلى نفيّ جلّهم خارج الوطن، وهذا ما حدث مع ابن الشاطئ الذي عاش حياة ضنكا بين ترحال وترحيل ؛بين الإقامة الجبرية في السجون والترحال الإجباري قصرا، مع الغربة والتشريد حاملا همّه على كتفه، وهمّ بلده في قلبه ودواوينه، مدافعا عن القضية رافضا التصفيق والمناصب والتطبيع مع العدوّ، فجاءت القصائد ثائرة تنبض حياة ورفضا في ظاهرها وباطنها.

ويجيء هذا المقال ليكشف عن المضمر المتواري وراء جمالية اللغة والسبك الشعري، في قصائد ديوان "أم أوفى...تتجدد رغم الليل الطويل" فتتجلى من وراء ذلك العديد من الأنساق من مثل: التخاذل

* المؤلف المرسل.

العربي، وفساد الأنظمة، ونسق المقاومة إضافة إلى ما يضمره العنوان من دلالات تختفي خلف البُنى اللغوية.

الكلمات المفتاحية: مضمر، ابن الشاطئ، نقد ثقافي، مقاومة.

Abstract:

The poetry of the Palestinian resistance is a record of the history of a people suffering from injustice and genocide on the one hand, as well as a means of struggle against the enemy on the other. It also exposes and reveals Arab collusion and weakness in supporting the Palestinian cause. IbnShati, Ibrahim Isma'ilShatat , He said boldly that he did not fear a suitable lame. He was one of the poets of the Palestinian resistance who wrote with letters of fire, and the word "bullet" came out of them. The poem was a resistance that led to the exile of all of them outside the country. This happened to Ibn al-Shati who lived a life of hardship between deportation and deportation; Prisons and forced migration And alienation and displacement bearing his concern on his shoulder, and his country in his heart and his dowry, defending the case, refusing applause and positions and normalization with the enemy, came poems revolting life and rejection in appearance and inward.

This article reveals what is hidden behind the aesthetics of language and poetic poetry, in the poems of the Diwan "or more... renewed despite the long night," according to the approaches of cultural criticism, which is reflected behind many of the formats such as: Arab weakness, and corruption systems , And the pattern of armed resistance in addition to the title implied by the implications behind the structure

Keywords: Embedded Ibn al-Shati, Cultural criticism, Resistance.

مقدمـة:

ليس من السهل أن يكون أيّ إنسان شاعرا؛ هذا إذا ما تعمّقنا في دواوين الشاعر ابن الشاطئ الذي صقلته الحياة بتجارب انطلقت من آلامه الذاتية وتجاربه الخاصّة وحياته المليئة بالألم داخل وطنه وصراعه مع القريب ومع الآخر العدو المترصّد له عند كل منعطف ينوي فيه القول، مما ترك في نفسه جراحا مفتوحة لم تندمل أبدا، رغم أنّه كان يداويها بنبض الحرف والقصيد، مقاوما في صمت رغم دواوينه الكثيرة.

قرأت ديوان " أم أوفى... تتجدد رغم الليل الطويل" وشدّتني تلك القصائد المسبوكة من نظم وقافية ورويّ وتركيب لغوي فريد، وأثارني المعجم اللغوي والدلالي الذي يدلّ على ثقافة واسعة لا تغيب عن شاعر فلسطيني رضع اللغة في تعامله اليومي منذ طفولته، وما شدّني أكثر تلك المضمرات المتوارية خلف هذه الجمالية في أعماق القصيد والذي يرغب من

خلالها الشاعر إثارة شعب أبيّ لمواصلة المسيرة ورفض الخنوع، فجاء الديوان معنونا بالرفض مليئا باللاّءات لأجل ثورة حتى النصر، فتضمن العديد من القضايا التي شغلت فكر الشاعر كما جاء جانبها الكبير حاملا لمضمرات يتم فقط الكشف عنها بالحفر في المتون واستقصاء المعنى الضمني الذي لبس حلة لغوية فنيّة.

1. مفهـــوم النســـق:

ارتبط مفهوم النسق بمجالات علمية، كاللسانيات، والبنيوية، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا مما أعطى هذا التنوّع في الاستعمالات تنوّعا في المفاهيم فتباينت، وإن أجمعت على أنّ النسق شبكة من العلاقات والقوانين التي تربط العناصر بعضها ببعض، ولا قيمة للعنصر إلّا بعلاقته بما عداه وأنه يمتلك تنظيما ذاتيا وترابطا وترتيبا، ويغيّر ملامحه متأثرا بالسياقات المختلفة من اجتماعيّة، وثقافيّة، وسياسيّة وغيرها.

وأمّا النسق المضمر فقد ورد معناه في معاجم اللغة العربية بمدلولات تختلف حسب تموضعها، ففي القاموس المحيط نجد معنى" أضمره: أخفاه، والموضع، والمفعول: مُضمرُو-الأرض-الرجل:غيبته ،إما بسفر أو بموت" [1]، وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور في ما يخص الجذر اللغوي "تضّمر وجهه:انضمت جلدته من الهزال، والضمير:الشيء الذي تضمره في قلبك، تقول: أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركا فأسكنته، وأضمرت في نفسي شيئا، والاسم الضمير، والجمع الضمائر، والمضمر: الموضع والمفعول (...)و أضمرت الشيء أخفيته، وهوىً مُضمرُوضمرُكأنّه اعتقد مصدرا على حذف الزيادة مخفي...وأضمرته الأرض غيّبته إمّا بموت أو بسفر"[2]

توحي مدلولات ومعاني كلمة "مضمر" بالسر والخفاء، والموت والغياب وعند التنسيق بين كلمتي "الأنساق و"المضمرة "نجد أنها تجمع في معنى نظام معرفة مكمن الخفاء والغياب، وهذا ما سنقف عليه من أنساق في ديوان الشاعر.

2. أنـــواع الأنســـاق:

أ. أنساقيـــة العنـــوان:

يُعدّ العنوان أوّل ما يشدّ القارئ ويفسح له مجال الدخول إلى النص، وهذا ما تنبّه له جيرار جنيت من خلال تنظيراته في كتابه " عتبات" Seuils، حيث أسس من خلال ذلك لعلـم قائـم بذاته هو علم العنونـة (La titrologie)، وهـذا الاهتمام بالعنوان تفطّن

لتأثيره الأدبـاء والشعـراء على حد سـواء، فمنهم من أختـار عنوان عمله في البداية ومنهم من يتريث حتى نهاية العمل ويصوغ عنوانا جماليا يدهش القارئ ويفاجئه ويشدّه إلى المتن النصّي وهذا يتطلب مهارة وذكاء وإبداعا مدهشا، فكلّما كان في العنوان تجديد لقيّ العمل حظّا من القراءة.

إن العنوان هو الإطار المصغّر المحدد لهوية النص، وعنوان هذا الديوان فيه من الإشارات المكثّفة التي تحمل بين طيّاتها قدرة الشاعر وثقافته وأيديولوجيته وإنسانيته؛ هو العنوان الذي جاء مختزلا لما في القصائد التي تنبض حياة ورفضا.

مع الوقفة الأولى أمام عتبة العنوان نلمس ثقافة الشاعر ورصيده الثقافي الضارب في عمق الثقافة العربية، فقد استعار الشاعر رمزا عربيا هو رمز " أمّ أوفى " هذه المرأة العربية التي حملتها كرامتها وعزة نفسها وأنفتها على تطليق زوجها زهير بن أبي سلمى بعدما تزوّج عليها بامرأة غيرها بعد وفاة أولاده منها فبرحت ديارّه رغم ما كان بينهما من وَدٍّ.

وأصبحت هذه المرأة الثكلى التي خلّدتها صفاتها رمزا خالدا للكرامة تتجدد وتعود مثل طائر العنقاء تموت لتحيى من جديد، حين بعود زهير بن أبي سلمى بعد عشرين عاما للمضارب ذاتها نادما مناجيا في ألم مكان الأحبة مُظهرا حبه وألمه لفقدان هذه المرأة وتجلى ذلك الحنين في قوله:[3]

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الـــــدراج فالمتثلم
بها العين والآرام يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

وبذلك تعود لهذه المرأة كرامتها التي هدرها "زهير"، وقد استطاع الشاعر ابن الشاطئ أن يخلق توليفة بين هذه المرأة الرمز وبين القضية الفلسطينية حينما استعار صفاتها حيث جعلها هي الوطن الأم التي أنجبت ثوارا صغارا، هم أطفال الحجارة وتصبح هي فلسطين الأبية و" أُمًّا لأروع كيان. في الوجود لأقدس أرض خلقها الله. لتلد فلسطين (أوفى) الانتفاضة

/الثورة والنصر الذي بات يدقّ أبواب الحقيقة بعد أن كان يخطر في استحياء في أحلامنا الهاربة من يد القمع والإرهاب والأمركة"[4]. وتجيء الانتفاضة، وثورة الحجارة سنة 1987 لتعيد للأمة العربية كرامتها بعد عشرين عاما من نكسة حزيران 1967، وهو المعادل الزمني لوقفة زهير حيث ذكرها زهير بعد عشرين سنة وخلدها في معلقته لتعود كرامتها المهدورة كما تعود هذه الانتفاضة لتردّ للأمة العربية كرامتها وتتجدّد وتجيء من غياهب الزمن الماضي وتحمل إشراقا وأملا رغم الليل الطويل الذي يوحي بالألم والكآبة والظلم، والفساد والموت، وهذا يدل على الاستعمار الصهيوني وما يقوم به من تقتيل وتنكيل وتشريد للشعب الفلسطيني، فالكرامة تعود مع "أوفى " الانتفاضة لتمسح عار الهزيمة وتحفظ ماء الوجه والدم الذي استبيح في حزيران.

ب. نسق التخاذل العربي:

يوجّه الشاعر لفظا عنيفا مبطنا وتهجما على الدول العربية التي تخلّت عن القضية الفلسطينية ولم تعد تولها اهتماما حيث همّشت حضورها عما كانت تحظى به في السابق من اهتمام بالغ، وكانت هي القضية الأساسية، حينما أعدت الجيوش للدفاع عنها ونصرة شعبها، فقد كانت تنظر للأمر من وجهته الكلية وليس الجزئية فقد كانت قضية أمة واحدة تدافع عن وجودها وهوّيتها ودينها، لكنها تراجعت عن مهامها التي أصبحت عبارة عن قرارات جافة يقول فيها ابن الشاطئ في قصيدته " آخر البرقيات "

عشرون سيدة ثكلى.. (وجامعة) [5]
عريقة وفمٌ لا فضّ محترق..!؟
كانت تظنّ بأنّي قد غدوت دمىّ
تلهو بها كلمات يحتلها شبق..؟

هو تنديد وإنكار لعشرين دولة عربية حيث يوحي هذا العدد بالكثرة لكنها بالمقابل ثكلى إيحاء بأنها فقدت فاعليتها وقدرتها فهي عاجزة مفجوعة لا تمتلك قرارها، وهذه القرارات لم تكن سوى تنديدات على الورق يحسنها هؤلاء الزعماء من خلال قوله " لا فض فوك "- كناية عن حسن القول وسلامة الفم القائل، لكنها في الأساس شعارات على ورق داخل الجلسة سرعان ما تُرمى في سلّة النسيان ولا يتحقق منها بندا واحدا بداية من نشأتها سنة 1945 لتدارس الشؤون العربية ومن بينها القضية الأم (الفلسطينية)إلى

غاية الآن، فلو نأخذ على سبيل المثال لتعزيز القول ما جاء في قرارها الخاص بقضيّة الاستيطان " وقد أدانت جامعة الدول العربية الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، حيث أكّدت أن الاستيطان الإسرائيلي هو عمل تعسّفي وينتهك الشرعية الدوّلية، وأن عمليات الاستيطان تهدف إلى التغيير في طبيعة الأراضي العربية المحتلة، من خلال تكثيف عمليات الاستيطان "[6]، وما يؤكد عدم جدوى هذه المفاوضات ومواصلة هجرة اليهود من بقاع العالم إلى فلسطين وتوفير التسهيلات الكلية لهم، كما يظهر الموقف ذاته في الانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس وقضية اللاجئين إلى غاية وصولهم إلى ثورة الحجارة التي هزّت العالم واجتمع فيها العرب بعد أسبوع من قيامها لدعم القضية وجمع التبرّعات وإرسال المعونة.

وهذا كلّه لم يكن شيئا أمام ما تقوم به إسرائيل من انتهاك وتشريد لشعب فلسطين على مرأى من منظر العالم العربي، فهذه الدول العربية العشرون يجرها الشاعر إلى قفص التّهام ويدينها بعجزها من خلال هذه القرارات التي كثيرها يبقى مجرد حبر على ورق ولا تجتمع إلّا لأجل إعلان شعارات زائفة تُكبل بها القضية الفلسطينية التي لا تتحرك إلا ضمن ما تُمليه هذه الجامعة وفق ما يتماشى مع رغباتها ولا يمسُ مصالحها الخاصة، قرارات ورقية وسرعان ما ترمى في سلّة مهملات الزمن بعد سوّيعات من انعقاد المؤتمر الطارئ لنصرة فلسطين لكن ثورة الحجارة قلبت وغيّرت الحسـابات والأوراق فوق طاولة المفاوضات وأطاحت بها فيقول ابن الشاطئ: [7]

فاجأتها عندما قزّمت قامتها
فكيف تجتمع الظلماء والألق؟
بالأمس قبل (خروجي)..غاب قمتهم
بعدها اجتمعوا (يا ليل واتفقوا)

فهذه الثورة المعلنة من أطفال الحجارة كسرت أفق توقع هذه الجامعة التي تدعي الشموخ والعراقة والقوة لكنها في الحقيقة لا تصدر إلا قرارات خفية في خوف من الآخر الغرب المتصيد لها، في حين بسطت ثورة الحجارة قراراتها بالفعل والتجسيد الحقيقي على أرض الميدان في وضح النهار أمام العالم، وأربك ذلك العدوّ وغير حساباته وهذا من خلا ل الجمع بين النقيضين (الظلماء والألق) كناية عن استحالة الجمع بين القول والفعل، بين الساسة الكبار والأطفال الصغار، فالذي يعيش المأساة غير الناظر لها من عل.

وقزم فعلتهم ليُعلي من شأن ثورة شعب أعزل لا يمتلك إلا الحجارة وشتان بين الأمرين، فأطفال الحجارة وقفوا أمام أعتا دولة استعمارية بصدور عارية للدفاع عن أرض تخلى عنها الملوك بما يملكون والحكام بما يحكمون والزعماء بما يكثرونه من القول. لتجاهلهم الدائم لمعاناة الشعب والأطفال خاصة، وهذا ما دفعهم للاجتماع لتدارس القضية تحت وقع التهديد من خطورة الوضع والانزلاقات التي قد تحدث للمنطقة ككل حسب مصالحهم، وجاء ذلك بصيغة الإنكار والسخرية من خلال القول "يا ليل " متغنيا بهذه الشعارات الجوفاء. ويظهر التخاذل العربي جليا في قوله:[8]

واليوم مهما جرى لا شيء يجمعهم
إلا إذا سكت الأطفال واختنقوا.

إنّ العرب لا يجتمعون في قمة طارئة رغم الخراب والإبادة الجماعية التي يتعرّض لها الشعب الفلسطيني إلا بشرط توقيف هذه الثورة وخنقها في حناجر أطفال الحجارة وهي كناية عن الورقة الضاغطة من العدو على الشعب الفلسطيني والذي لن يجلس للحوار والتفاوض إلا بإسكات هذه الثورة فهذا ما يريده العدو وتطبقه الجامعة غير أن الشاعر غير آبه بذلك معلنا جرأة هذه الانتفاضة التي غسلت عار الانتكاسة والهزيمة التي مُني بها الشعب العربي في حربه مع إسرائيل.[9]

فقد أرجع الأطفال سالف عهدنا
مضيئا وما عاد الجهاد طبولا
تعرّى على أحجارهم كلّ مدّع
توغّل في جوف الظلام عميلا

فهذان البيتان يكشفان عن قدرة هذه الثورة وجبروتها التي برهنت به أن العزة لا تحتاج لاستنفار الجيوش وإعلان الحرب لتكون الهزيمة في النهاية، ها هي ثورة الحجارة تقتص لهم وتُعيد ماء الوجه والمضمر من ذلك أن هذا العدوّ ليس مرعبا بالقدر الذي يراه البعض من جهة ومن جهة ثانية يكشف أن هذه الهزائم هي نتيجة وجود عملاء وخونة بينهم دلالة على فرقتهم وطغيان مصالحهم الخاصة وفساد الأنظمة العربية.

ج. نسـق فسـاد الأنظمـــة:

لقد ظلّت فلسطين ترزح تحت ظلم العدو وجبروته ولم تجد مقاومة أو قرارات واضحة من الأنظمة العربية التي لم تتّخذ حلّا مصيريا موحدا وكثيرا ما تبنّت شعارات جوفاء وليدة لحظات الانفعال اللّحظي، ثمّ سرعان ما يعاودها الصمت والخذلان.

ففي قصيدة "هامش يستحقّ أن يُذكر" يكشف الشاعر ابن الشاطئ فساد هذه الأنظمة ويعرّي الفحولة الزائفة لقادتها وأنّهم مجرّد أبواق للغرب وأيدي تضرب بها في الخفاء الشعب الفلسطيني، والشعوب العربية يائسا من جدواها مستنكرا داعيا لفض الأيادي منها وعدم التعويل عليها متسائلا:[10]

أما تزالين في آبار شهوتهم
غرقى وعمرك في حضن الأباطيل؟
أما تزالين..و الأموال دافقة
على الحساب المعافى والخلاخيل؟

فهو تساؤل وراءه استغراب وتعجب من وطن ينتظر نصرة العرب الغرقى في شهواتهم وملذاتهم التي يجنونها من أرباح البترول الذي يضخ أموالا في بنوكهم وحساباتهم الممتلئة يبذلونها في إشباع شهواتهم بعيدا عن الهمّ الوطني وحل المشاكل وهي إشارة من الشاعر لما كانت تقدمه هذه الورقة الضاغطة من نتائج إيجابية في فترة السبعينيات عندما أعلن نيكسون في 20 أكتوبر 1973 عن صفقة مساعدة عسكرية لإسرائيل جاء الرد العربي في اجتماع عقده وزراء البترول العرب في الكويت في الرابع من نوفمبر 1973 وقرّروا الحضر الشامل للبترول إلى الولايات المتحدة وهولندا وذلك لانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلّة، كما تمّ إعلان حضر نفطي لدفع الدوّل الغربية لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلّة في عام 1967. فهذه الوسيلة الوحيدة التي تمتلكها لم تعُد تُؤتي أُكلها.يقول:[11]

أما علمت أن النفط متّزن
يرتاح في شفة (الدانوب) أو ليل؟

دلالة على أن الدول الغربية تتحكم بسعر النفط، ولم يعد الأمر مجديا وأن هؤلاء الحكام لا هون في شهواتهم ورغباتهم الجنسية وملذاتهم.

ففي (جينيف) يفور الجنس منتعلا[12]

كلّ الجِمال عريقا في التآويل.. !؟
فحولة..! ما وعتها الكبرياء ولا
هزّت خواصرها (أمُّ المناديل)!!

ففساد الملوك والأمراء حين يستثمرون هذه الأموال في ممارسة الجنس لإثبات فحولتهم في فنادق جينيف، ويصرفونها في الملاهي الليلية والملذات، إن ما يمارسونه يُعاب عليهم وينتقص من هذه الرجولة الزائفة التي يحاولون إثباتها عبر الجنس فلا هم طالوا ذلك ولا استطاعوا أن يكونوا نساء تتراقص أجسادهن على الأنغام الكلثومية، فهم أشباه رجال قد ضيعوا كل الصفات.

وفي قصيدة أخرى يظهر الشاعر ابن الشاطئ فساد هذه الأنظمة وتخاذلها بل الأكثر من ذلك حينما يتم تزييف الخطاب.

وآخرون على أفخاذ شهوتهم[13]
يحاصرون مسافاتي وأصدائي
ويكتبون تقارير ملفّقة
عنّ وعنك.. ويمتصّون أعضائي
ويخطبون كثيرا عن رجولتهم
ويهربون على أشلاء أشلائي

فبرغم عنفوان ثورة الحجارة ورفض العدوان فإنّ القضية سُيّست للمصلحة الشخصية الضيقة جدا ولم تجد ما تستحقّ من صدى بل نجدهم يكتبون تقارير كاذبة ملفقة كناية على أنها ليست ثورة على الظلم، بل عملية اغتيال لجند الصهاينة وتعدي على الآخر في عقر داره وتلك الأفعال حسب هذه الفئة تقضي على مبادرة السلام التي يرونها حلا لمشكلة الشرق الأوسط بكامله، وتكون إشارة منهم لما يقدمون من معونات.

يقدم ابن الشاطئ أسباب الوضع المخزي للوضع الذي تعيشه الأوطان وخاصة منها فلسطين كاشفا الخيانات المتكررة فيقول:

يا أمّ أوفى مضت أعوامنا ومضى [14]
شبابنا الغض في أوجاع سيناء
وما نزال كما كنّا..! تحاصرنا
نفس السلاطين في مستنقع الداء

فهذه الأبيات تكشف عن أوجاع العرب في سيناء إشارة للهزيمة النكراء التي ظل العرب يتجرعون نتائجها حين تم الاستيلاء على سيناء في حرب حزيران 1967، وظل الوضع على ما عليه من توالي الخيبات وتكررها، وفساد سياسي يجعل البلاد العربية مكبلة بالهزائم المتلاحقة تقتل أي أمل لاستعادة الأرض المفقودة.

وتحلمين بأرض سلّمت علنًا [15]

وكان ما كان من بصم وإمضاء

إن تخاذل السلاطين والحكام هو ما جرّ الأمة إلى هذا الحال حينما سلموا فلسطين لليهود لإنشاء دولة يهودية داخل فلسطين، حيث بدأت المساومة على ذلك حين انطلقت أولى المفاوضات مع الحاكم العثماني السلطان "عبد الحميد "، في حين تمّ التخطيط الفعلي لها بداية من تفاوض هيرتزل مع الخديوي عباس حلمي الثاني "بهدف تأجير مساحة أرض قدرها 630 ميلا مربعا حول العريش، اعتبرها هيرتزل منطقة تجمّع وتركيز ووثوب وكان اقتراحه أن تأجّرها المنظمة الصهيونية لمدة 99سنة ولا يظهر أنه كان لدى الخديوي اعتراضا كبيرا، وربّما أنّ بعض مناقشات هيرتزل معه تركّزت حول ما يمكن أن يعود عليه من أرباح مشروع هيرتزل"[16] كما ورد في كتاب (المفاوضات السرّية بين العرب وإسرائيل) للكاتب حسنين هيكل.

وكلّ ذلك سهّل لوعد بلفور والذي لقيّ استحسانا من الحكّام العرب من أجل المصلحة الخاصّة والمحافظة على الملك، وتم بعد ذلك الاعتراف الكلي ـ في اتفاقيات كان أولها ما قام به الشريف "حسين" الذي لم يُبدي اعتراضه من ذلك يقول حسب ما جاء في كتاب (المفاوضات السرية) " كان ردّ الشريف "حسين" يفيد باستعداده لقبول صيغة وعد بلفور وروى الكومندار هوغارت في تقريره لوزارة الحرب في لندن أنّ الشريف وافق بحماسة قائلا إنّه يرحّب باليهود في كلّ البلاد العربية "[17].

ليجيء دور الأمير فيصل ابن الملك حسين حينما تمّ الاتفاق الفعلي بين اليهود والأمير وجاء الاعتراف التامّ بمنح فلسطين لليهود في اتفاق بين الأمير فيصل وحاييم ويزمان في العقبة " يجب أن نتّخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحثّ عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع "[18]، ففي الوثيقة تم الاعتراف بالقول والختم على منح فلسطين لليهود، أمّا الأمير عبد الله الذي دفعته مصالحه الذاتية للاستحواذ على الملك ومساومة اليهود في

بسط نفوذه على المنطقة " راح يمدّ بصره واتصالاته عبر نهر الأردن، ويفتح قنوات اتصال سريّة مع الوكالة اليهودية في تل أبيب ويبعث الرسائل متتالية إلى زعمائها ويعرض عليهم أن يساعدوه لإنشاء مملكة موحّدة... وفي مقابل ذلك يتعهّد لهم بأن يعطي اليهود في هذه المملكة استقلالا ذاتيا وضمانات للأمن تحقّق مطالبهم"[19]

فهذا هو التخاذل في أبشع صوره زيادة على الخيانة التي كبلت هؤلاء السلاطين والحكام العرب، لكن الشاعر يُبدي رغبته في تحرير هذه الأرض والمقاومة حتى النصر.

د. نسق المقاومة:

يتبنى الشاعر مقولة "ما أُخذ بالقوة لا يسترجع إلاّ بالقوة " فظهر ذلك في مواقفه البطولية رافضا أي مهادنة، وداعيا صراحة لجهاد العدوّ وهذا ما تبناه ابن الشاطئ منذ طفولته فالمتمعن لحياته السياسية يجده لم يدخر جهدا لذلك ف"بدايته السياسية كانت مع حركة الإخوان المسلمين هذا في الطفولة حتى سن 13سنة التحق بحزب البعث العربي وكان يومها أكبر الأحزاب في فلسطين وفي 1965 كان من أوائل من التحقوا بالثورة الفلسطينية تحت لواء حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح حتى سنة 1979، وفي سنة 1979أسس مع مجموعة من المناضلين العرب جبهة التحرير الشعبية العربية بقيادة الأديب والمفكر الفلسطيني ناجي علوش"[20] وهذا ما جعله يتخذ موقفه الواضح وهو الدعوة للمقاومة وتحرير كل شبر في فلسطين.

تتوقفين عن النضال مطيعة [21]
ووراءك الـجزّار والعدّاء
ماذا تبقى..؟ هل تسافر(غزة)
من أرضها.. وتهاجر الأمداء

فهذا العتاب في التوقف عن النضال والذي جاء طواعية رغم ما يفتحه العدوّ من نيران على كل الجهات إشارة إلى الاتفاقيات والمفاوضات العربية الإسرائيلية لإيجاد حل للقضية الفلسطينية والجلوس لطاولة المفاوضات، غير أن الشاعر يرفض ذلك ويدعو لمكافحة العدو المترصد لها، أمامها وخلفها ينتظر فرصة الانقضاض ليطرح التساؤل المستغرب من نتائج هذا الفعل وكيف يصبح حال غزة التي تتنفس مقاومة، من خلا ل تساؤله هل تسافر غزة؟ وفي معناه أن وقف الجهاد هو اجتثاث غزة من أرض فلسطين

وإنهاء المقاومة والقضاء عليها في عقر دارها فهي بيت المقاومة؛ هي كتائب القسام وحركة الجهاد الإسلامي و....، وهذا ما نكشفه من مضمرات الخطاب.

هي ثورة من الشاعر لرفض أي اتفاقية سلام مع العدّو إيحاء إلى ما جاء به الملك السعودي فهد بن عبد العزيز والتي في أصلها تنازلات أكثر منها تسوية للوضع " اعتبر بعض الباحثين مبادرة الأمير فهد بن عبد العزيز بداية التنازل العربي عن تحرير الأرض المحتلّة عام 1948م وأعلن الاستعداد العربي للاعتراف بإسرائيل، والعودة إلى المفاوضات السيّاسية، مما يعكس الصورة بأن العرب رضوا بالأمر الواقع، ولم تتضمن المبادرة الإشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية "[22]، وهذه الدعوة رافقها المشروع الذي طرحته و.م.إ 1982، لكن إسرائيل لم تتقيد بالتقارير فكيف إذن لغزة أن تصمت، ويظهر الشاعر رفضه لهذه المساومة بإعلان موقفه الصريح من هذه المبادرة مؤمنا بالجهاد في سبيل تحرير الأرض.

أنا بعد هذا اليوم أكبر مؤمن[23]

بالعنف يفتحه الغد الوضاءُ

ومجاهد في السر أعرف وجهتي

قبل الجليل..ولن يطول بقاءُ

وهو موقف صريح من المبادرة التي تدعوا للتنازل عن الأرض التي احتلتها إسرائيل في العام 1948 وعدم التنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين، ويرفض أيّ مفاوضة مع الآخر متبنيا موقفا بطوليا حيث " تعرّض ابن الشاطئ للاعتقال مرات عديدة كان آخرها في صيف 1957 وحكم عليه بالسجن لمدة 17 عاما، فرّ من السجن العسكري بمساعدة رفاقه"[24] وهذه المواقف الشخصية ترجمها الواقع إلى ممارسات فعلية وكللها أكثر بالحرف والقصيد.

خاتمـــة:

جاء ديوان ابن الشاطئ حافلا بالعديد من الأنساق المضمرة وخاصة منها السياسية والتاريخية التي كانت في الحقيقة صورا ناطقة لما عاشه الشاعر وشاهده وكان عين رائية في كثير من الأحيان، فنشاطه السياسي انعكس بصورة واضحة على أشعاره وتحول من مواقف سياسية إلى مواقف شعرية نضالية، وأعطى صورة واضحة بدون تزييف عن الوضع العربي وصورة الحاكم العربي وآلام الشعوب الضعيفة التي كبلتها أربطة الساسة، وبذلك كان شعره وثيقة تاريخية وسياسية كشفت النقاب عن تاريخ عفن مازالت

الشعوب تغرق في وحله وتتجرع سمّه لحد الآن، ولأن الشاعر أكبر معبر عن قضايا وطنه جاءت هذه القصائد تحمل همًا جماعيا إنسانيا تاريخيا عربيا من المحيط إلى الخليج.

قائمـــة المراجـــع:

- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: المعلقات السبع مؤسسة جائزة محمد السعود البابطين للإبداع الشعري ط1 ، 2003،الكويت .
- ابن الشاطئ: أم أوفى ...تتجدد رغم الليل الطويل، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.
- ابن منظور: لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان
- عبد الله محمود نجم: موقف مجلس التعاون الخليجي من القضيّة الفلسطينية ما بين عامي 1981- 2012 من خلال البيانات الرسمية الصادرة عنه، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب، جامعة غزة، فلسطين 2014
- عدي شتات: السيرة الذاتية للشاعر العربي الكبير ابن الشاطئ (إسماعيل إبراهيم شتات)، موقع جبل العرب، تاريخ الدخول 1-2 – 2019.
- محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية)، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1996.
- محمد محمود المغني: موقف جامعة الدول العربية من القضيّة الفلسطينية من خلال القرارات والبيانات الرسمية الصادرة عنها (1987-2006)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب جامعة غزة فلسطين، 2016.
- مجي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، حرف الضاد، ط8، 2005.

التهميش:

[1] - محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط ،الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت ,لبنان , حرف الضاد ،ط8 ،2005، ص981

[2] - ا بن منظور :لسان العرب دار صادر ،بيروت لبنان ،ص 492

[3] -أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: المعلقات السبع مؤسسة جائزة محمد السعود البابطين للإبداع الشعري ط1 ، 2003 ،الكويت ،ص47

[4] - ابن الشاطئ : أم أوفى ...تتجدد رغم الليل الطويل ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2007، ص11.

[5] - المصدر نفسه، ص 337.

[6] - محمد محمود المغني :موقف جامعة الدول العربية من القضيّة الفلسطينية من خلال القرارات والبيانات الرسمية الصادرة عنها (1987- 2006) ، رسالة ماجستير، غير منشورة، ، كلية الآداب جامعة غزة فلسطين، 2016 ، ص 50.

[7] - ابن الشاطئ : أم أوفى ..... تتجدد رغم الليل الطويل، ص 337.

[8] - المصدر نفسه، ص نفسها .

[9] - المصدر نفسه، ص314.

[10] - المصدر نفسه، ص 82.

[11] - المصدر نفسه، ص نفسها.

[12] - المصدر نفسه ، ص نفسها.

[13] - المصدر نقسه ، ص نفسها

[14] - المصدر نفسه، ص 278.

[15] -المصدر نفسه ،ص279.

[16] -محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 1996، ص - ص 73-74.

[17] - المرجع نفسه ، ص 111.

[18] - المرجع نفسه ، ص 120.

[19] -المرجع نفسه ،ص نفسها

[20] - عدي شتات :رسالة نصية عبر موقع التواصل الاجتماعي ،يوم 2019/2/25.

[21] - ابن الشاطئ : أم أوفى ..... تتجدد رغم الليل الطويل ص 61.

[22] - عبد الله محمود نجم :موقف مجلس التعاون الخليجي من القضيّة الفلسطينية ما بين عامي 1981- 2012 من خلال البيانات الرسمية الصادرة عنه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب، جامعة غزة ، فلسطين 2014، ص 20.

[23] - ابن الشاطئ : أم أوفى ..... تتجدد رغم الليل الطويل، ص 61.

[24] - عدي شتات : السيرة الذاتية للشاعر العربي الكبير ابن الشاطئ (إسماعيل إبراهيم شتات) ، موقع جبل العرب ، تاريخ الدخول 1-2 – 2019.